الانزياح الدلالي في سورة البقرة

الدكتور عبدالحسين فقهي
أستاذ مشارك بجامعة طهران ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
efeghhi@ut.ac.ir
الدكتور عبدالوحيد نويدي (الكاتب المسؤول)
مدرس بجامعة طهران قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
anavidi@ut.ac.ir

The Semantic Shift in Al-Baqar Chapter

Dr. Abdul Hussain Fiqhy
Co-author in Tehran University Department of Arabic L.& Literature/Iran
Dr. Abdul Waheed Nwaidy (first auther)
Instructor of Tehran V. Department of Arabic L.& L./Iran

الملخص:-

تعتبر ظاهرة الانزياح ركيزة أساسية من ركائز الدارسات الأسلوبية الحديثة، وعامل تميز للخطاب الأدبي ولها دور جمالي كبير مُسهِم في لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه، وسورة البقرة المباركة من سور القرآن الكريم التي تنزاح دوالها عن مدلولاتها وتختفي دلالاتها المألوفة للألفاظ وتحل مكانها دلالات جديدة غير معهودة، تسعي هذه المقالة من خلال المنهج الوصفي التحليلي دراسة الانزياح الدلالي في السورة هذه بأشكاله المجازية والاستعارية للغوض في أعماق السورة المذكورة والكشف عن العناصر الإبداعية و الفنية فيها.

وقد خرجت الدراسة ببعض النتائج مؤداها، أن المجاز و الاستعارة من أهم الوسائل البيانية في سورة البقرة و أن للانزياح الدلالي أثراً مهمًا في الارتقاء بالسورة جماليًا، والإسهام في تقديمها رؤية وتشكيلا، و إحداث تنوع دلالي كبير وأن هذه السورة من خلال استعمال أشكال الانزياح الدلالي أي المجاز و الاستعارة تعمل على لفت انتباه المتلقي و التأثير فيه لترسيخ في ذهنه.

الكلمات المفتاحية: الانزياح الدلالي، المجاز، الاستعارة، سورة البقرة.

Abstract:-

The phenomenon of displacement is a fundamental pillar of modern stylistic studies، And a distinguishing feature of literary discourse. And has a great aesthetic role in attracting the attention and influence of the recipient. , And the surah of the blessed cow from the wall of the Holy Qur'an, which diverts its functions from its meanings And disappear their familiar meanings of words and replace the new signs of unusual, This article seeks through the descriptive descriptive approach to study the semantic displacement in this sura in its metaphorical and metaphorical forms To encroach on the depths of the said sura and to reveal the creative and artistic elements therein.

The study came out with some results, that metaphor and metaphor is one of the most important means of revelation in Surat al-Baqarah And that the semantic shift has an important impact in the evolution of aesthetically pleasing, And contribute to the presentation of vision and form, and the creation of significant diversity indicative. And that this surah through the use of forms of semantic distillation any metaphor and metaphor works to draw the attention of the recipient and the impact in the mind.

Keywords: The semantic displacement, metaphor, metaphor, surah al - Baqarah.

١ـ المقدمة

القرآن الكريم قد جاء في مفرداته وتراكيبه وعباراته بأسلوب عربي يخرج كثيراً ما عن المألوف والمعهود في لغة العرب، هذه الظاهرة المنزاحة دفعت النقاد للغوص في أعماق النص القرآني وكشف أسراره وبيان قيمته وجماله، ومن الاتجاهات النقدية الجديدة التي تتيح للباحث أن ينظر في النص القرآني هي الأسلوبية والباحث الأسلوبي ينظر إلى النص ليحقّق من خلال ذلك وظائف أسلوبية وجمالية تُحدث تأثيرا خاصّاً في المتلقي، يهتم هذا العلم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعاً من الأنواع الأدبية بما يشيع من صيغ صرفية أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي. وسنسعي خلال صفحات هذا البحث إلى دراسة ظاهرة الانزياح الدلالي الموجودة في سورة البقرة ضمن الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هو أبرز سمات الانزياح الدلالي في سورة البقرة؟

٢- كيف تمّ توظيف الانزياح الدلالي في هذه السورة؟

٣- ما هو مدي تأثير هذه الظاهرة في لفت انتباط المتلقي؟

٢- خلفية البحث

أمّا بالنسبة إلى الدراسات التي تناولت ظاهرة الانزياح في القرآن الكريم فيمكن الإشارة إلى: ١- مقالة ((الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الانزياح دراسة وصفية - تطبيقية)) لآفرين زارع، قامت هذه المقاله بدراسة أسلوبية الانزياح بأنواعه الثلاثه: الاستبدالية والتركيبية والصوتية في القرآن الكريم. ٢- مقالة ((أسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة)) لمرتضي قائمي، درس الكاتب في هذا المقال أسلوبية الانزياح في مستوياته الثلاثة الأيقاعية والتركيبي والدلالية. ٣- رسالة ((أسلوبية الانزياح و دورها في التحليل النصي)) لمير غني هاشم. ٤- مقالة ((الانزياح الدّلاليّ وأثره في تطوُّر اللغة)) لابن الدين بخولة.

أما بالنسبة إلى هذه السورة، فلم تكتب حتى الان دراسة مستقلة حول أسلوبية الانزياح الدلالي فلذلك هذا البحت جاء لدراسة ظاهرة الانزياح الدلالي للسورة المذكورة كشفاً عن بعض جوانب الإبداعية و الجمالية لها.

٣- الانزياح لغة واصطلاحا

لغة:

وردت لفظة زيح في لسان العرب بمعنى:زاح الشّيء يزيح زيحا وزيوحا وزِيوحا وزيحاناً، وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره، وفي التّهذيب: الزيح: ذهاب الشيء، تقول قد أزحتُ علّته فزاحت، وهي تزيح. (ابن منظور،١٩٨٨م: مادة نزح) إذا تصفحنا القاموس الموسوعي لاروس وبحثنا في مادة ((Ecart)) سنجد دقة أكبر في تحديد المصطلح إذ أن الانزياح هو حركة عدول عن الطريق أو خط السير، هذا لغويا، أما أدبيًا في القاموس نفسه فإن الانزياح يعني فعل االكلام الذي يبتعد عن القاعدة.(فوغالي، ٢٠١٣م: ٧)

اصطلاحا:

يكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح هو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو ((الخروج عن المعيار لغرض يقصد إليه المتكلّم)) (أبو العدوس، ٢٠٠٧م: ٧)، وقد يكون دون قصد منه غير أنّه في كلتا الحالتين يخدم النّص بشكل أو بآخر وبدرجات متفاوتة. ثم إن الانزياح ما هو ((إلاّ استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصور استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب و وأسر)) (ويس، ٢٠٠٥ م: ٧) فلا يمكن الخروج أو الانحراف عن الكلام العادي إلّا بوجود الأصل الذي يعدل عنه أو معيارا ينزاح عنه، حيث يرى بيير جيرو أن ((الانزياح يعرف كميًا بالقياس إلى معيار(كوهن، ١٩٨٦م: ١٦) وهو المفهوم كذلك الذي أشار إليه يوسف أبو العد.وس حيث اعتبر الأسلوب انزياحا عن قاعدة الاستعمال اللغوي (أبو العدوس، ٢٠٠٧م:١٨٠)، وهو بهذا يجعل الأسلوب ظاهرة لا تخرج عن مفهوم الانزياح حيث يوضح منذر عياش مفهومه للانزياح من خلال العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب المنزاح، وبناء على هذا يظهر الانزياح على نوعين: ((إنّه إما خروج عن الاستعمال المألوف للغة، وإما خروج عن النّظام اللغوي نفسه)) (المرجع نفسه، ص: ١٨٠) فيكون الانزياح في كلتا الحالتين كسر لمعيار معين ينتج عنه قيمة لغوية وجمالية.

وبما أن للغة نظام ثابت متّفق عليه، فإن اختراق هذا النّظام ينتج لنا انزياحا وهو ما يكسب النّص جماليته، وعلى هذا الأساس قسم الأسلوبيون اللغة إلى مستويين: ((مستواها

المثالي في الأداء العادي، والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكه)) (عبد المطلب، ١٩٩٤م: ٢٦٨) فالمستوى المثالي أو المستوي العادي هو ما أقرت به القواعد النّحوية واللغوية، والمستوى المنحرف عنه هو المستوى الفنّي الخاص، فهذه الأخيرة تقف عند الصورة الفعلية للكلام، ولا ترفض ما فيه من نقص أو انحراف، بل تحاول استغلاله من زاوية فنية، بينما يحاول النّحو أن يقدم صورة مثالية كاملة للغة.(راضي، ٢٠٠٣م: ١٩١)

٣-١) الانزياح الدلالي

إنّ لغة الشعر أو النثر تزخر بالألفاظ والمترادفات في شكلها العادي، ولكن عندما تخرج هذه المترادفات عن نمطها العادي فإنّه يدخل عليها ما يعرف بالانزياح، فتخرج عن معناها الرئيسي وتلبس معاني أخرى، وهذا النوع من الانزياح يسمي الانزياح الدلالي.(صالح، ٢٠١١ م: ٦).

إن القرآن الكريم يعبر عن بعض معانيه بطريقة غير مباشرة، إذ نجده يريد إثبات معنى من المعاني فلايذكره باللفظ الموضوع له في اللغة بل يلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعني آخر ولكنه تابع للمعني الذي يريده، فيعبر بهذا اللفظ عما يريد لعلاقة بين المعني الأصلي والمعني المراد، وهذه الطريقة التي يوظفها القرآن الكريم للتعبير عن المعاني، تسمّي بـ ((الانزياح الدلالي)) الذي يعني الانتقال من المعني الأساسي أو المعجمي للفظة إلى المعني السياقي الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق معين يحدد معنى الجملة يحدد معنى الجملة بأكملها حيث تنزاح الدوال عن مدلولاتها فتختفي الدلالات المألوفة للألفاظ لتحل مكانها دلالات جديدة غير معهودة. يقول جان كوهن في هذا الموضوع أن الانزياح هو ((الانتقال من المعني المفهومي إلى المعني الانفعالي)) (كوهن، ١٩٨٦م:٢٠٥)

جدير بالذكر هنا أن النقاد و البلاغيين العرب القدامي كانت لهم إشارات مبكرة تعد بذورا للبحث عن الانزياح الدلالي و منهم عبدالقاهر الجرجاني الذي قسم المعني إلى ضربين: ١- المعني ٢- معنى المعني. (الجرجاني، ١٩٩٢م: ٤٤٤)

الضرب الأول هو القول على سبيل الحقيقة وأما الضرب الثاني فهو القول على سبيل المجاز. فبناء على هذا أن الانزياح الدلالي أسلوب من أساليب الأداء غير المباشر يتم عن

طرق مختلفة كالمجاز والاستعارة والكناية. اطلاقا من هذا المهاد النظري سيحاول هذا المقال الوقوف على مظاهر الانزياح الدلالي في سورة البقرة إذ يعد هذا الانزياح من أهم و أبرز أنواع الانزياح التي وظفتها هذه السورة للكشف عن خصوصيته في الانزياح عن المعني الأصلي إلى معنى جديد يدرك من خلال السياق الذي يرد فيه.

٣-١-١) الانزياح المجازي

المجاز اللُّغوي المرسلُ واسع الاستعمال في القرآن الكريم، وان سبب انتشار هذا الفن يعود إلى وظيفته في توليد المعاني الجديدة، وهو وسيلة اللُّغة في الإضاءة والتَّنوير، تؤدي إلى توسع اللغة، إذ أخذتِ المفردةُ تتخطَّى الدائرَة اللغوية إلى الدائرة الفنية، فَأدى التَّجوز والاتساع في المفردات ومعانيها إلى إغناءِ المعجم الدلالي بحياة لغوية متجددة ومبدِعة. بناء على هذا يمكن القول بأن المجاز يمثل ضربا من التغيير في الدلالة أو المعني ذلك أن يتخذ اللغة عالما يتحرك من خلاله لتأدية وظيفته البلاغية حيث يعمل المجاز على منح الكلمة طاقة متجددة إضافة إلى معناها المعجمي الأصلي بأقل قدر من الألفاظ فتأتلف الكلمات في تراكيب جمالية ذات طاقة انفعالية معنى هذا أن القيمة الدلالية و الجمالية للأداء المجازي تتمثل فيما يكون له من قدرة على إثراء البنية الدلالية و إغنائها بدلالات ثانوية و قيم فنية لا تلمس في الأداء الحقيقي.

ويأتي وصف هذا المجاز بـ (المرسل) من إطلاقه من قيد المشابهة، فالإرسالُ في اللُّغة: الإطلاقُ، وأرسَله بمعنى: أطلَقه(ابن منظور،١٩٨٨م: مادة رسل)، ولما كانت الاستعارة مقيدةً بادعاء أن المشبه من جنس المشبهِ به، كان المجاز المرسلُ مطلقًا من هذا القيد وحرا من هذا الارتباط، فهو طليقٌ مرسلٌ.

ويعد السكاكي أولَ من أطلق هذه التسمية عليه (السكاكي، ١٩٨٧م: ١٧٤) وعرّفه القزويني بقوله: ((هو ما كانت العلاقة بين ما استُعملَ فيه، وما وضِع له ملابسةً، غير التَّشبيه)) (القزويني١٩٩١م: ٢٨٠) وهذا يعني أن الكلمة مستعملة قَصداً في غيرِ معناها الأصلي، لِملاحظة علاقةِ غَيرِ المشابهةِ بين المعنيين، مع قرينةٍ دالَّةٍ على عدم إرادة غير المعنى الأصلي(الهاشمي، ١٩٩٩م: ٢٥٢) للمجاز المرسل علاقات كثيرة منها:

٣-١-١-١) العلاقة السببية

وهو أن يطلق السبب ويراد المسبَّب، أي يكون المعني الموضوع له اللفظ المذكور سببا في المعني المراد فيطلق السبب على المسبب أو النتيجة. مثال هذه العلاقة في سورة البقرة قوله تعالى ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/ ١٩٤)

فقد استعمل الاعتداء الأول و الثالث في هذه الآية الكريمة استعمالا حقيقيا إذ أن كلا منهما يفيد معنى القتال و النزاع في حين أن الاعتداء الثاني أي ((فَاعْتَدُوا عَلَيهِ)) انزاح عن دلالته الأصلية إلى دلالة جديدة أخرى، فهو ليس اعتداء في الحقيقة، وانما هو مجازاة و قصاص أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام فقاتلوهم على سبيل القصاص. فالانزياح هنا هو في اللفظ الدال على السبب ((اعتدوا)) إن انتقلت دلالته إلى ما ينجم عن الاعتداء من مجازاة و قصاص و يمكن توضيح هذا الانزياح على النحو التالي:

جدول الرقم ١

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
الاعتداء	القتال	الجزاء و القصاص

فالمدلول الحقيقي و هو ((الاعتداء أو القتال)) حاضر في الخطاب و لكنه يستدعي المدلول المجازي و هو ((الجزاء و القصاص)). بعبارة أخرى أن المدلول الحقيقي حاضر غائب، حاضر في شكله الحسي غائب في مادته المعنوية في حين المدلول المجازي غائب حاضر، غائب في شكله الحسي حاضر في مادته المعنوية، يمكن ترسيم هذا الأمر بالشكل التابع:

جدول الرقم ٢

العلامة	الاعتداء	الجزاء و القصاص
الوجه الحسي	حاضر	غائب
الوجه المعنوي	غائب	حاضر

في هذه الآية الكريمه ينطلق الذهن من العنصر الحاضر المنزاح عنه دلاليا ((الاعتداء)) بحثا عن العنصر الغائب المنزاح إليه ((الجزاء والقصاص))، كما نلاحظ في جدول الرقم ٢، تحضر علامة ((الاعتداء)) المنزاح عنها و يبقي مدلولها ((الجزاء و القصاص)) غائبا فتكون المحاولة الأولي في اتجاه المعهود أي مدلولها المعجمي و هو ((القتال)) لكنه فهم غير مستقيم لأنه غير ملائم للسياق ولهذا يجري البحث في اتجاه آخر حيث يقودنا المدلول المعجمي إلى أقرب المعاني إليه و أكثرها ملائمة للسياق و هو ((الجزاء و القصاص)) الناجم عن ((الاعتداء)) فيستقيم المعني.

بالاعتماد على معيار العلاقة السببية، يتبين لنا أن الخلاف الموجود بين الدال ((الاعتداء)) والمدلول ((الجزاء والقصاص))، خلاف ظاهري لا يتجازو المستوي الظاهري للصياغة و الغاية منه قوة السببية بين ((الاعتداء)) و((جزائه)) وأن الجزاء يعقب ((الاعتداء)) فلا يتخلف عنه.

٣-١-١-٢) العلاقة المسببية

وهو استعمال النتيجة للدلالة على السّبب بعبارة أخرى وتذكر النتيجة أو المسبّب ويراد السبب الذي أدّى اليه كقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ١٧٤)

نلاحظ في هذا الآية الكريمه أن لفظة ((نارا)) لا تتناسب مع الفعل ((يأكلون)) وأن هذا الفعل يحتاج إلى مفعول خاص يتلائم مع طبيعته بينما النار لاتأكل وانما المراد يأكلون مالا حراما تتسبب عنه النار التي تكوي بها أجسادهم فذكر المسبب أو النتيجة أي ((النار)) في موضوع السبب و هو المال الحرام أي ((مال اليتامى)) فهكذا فأن الانزياح حدث في لفظة

((المال الحرام)) التي حلت محلها لفظة ((نارا)) و مغزي هذا الانزياح تحذير الأوصياء على اليتماي و ترهيبهم من عاقبة الاجتراء على أموالهم و التصرف فيها بغير حق من خلال إضهار فضاعة و بشاعة تلك الصورة، صورة من يأكلون أموال اليتامي فهم يأكلون نارا تُقذف في أفواههم فتندلع في بطونهم فيكون العذاب و الألم. يمكن ترسيم هذا الانزياح على النحو التالي:

جدول الرقم٣

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
النار	العذاب و الألم	الجزاء و القصاص

فالمدلول الحقيقي وهو ((النار)) حاضر في الخطاب ولكنه يستدعي المدلول المجازي وهو ((المال الحرام)). فلذلك أن النار انزاح عن دلالته الأصلية إلى دلالة جديدة، فليست النار في هذا الآية نارا حقيقية، وانما هو أموال اليتامي، لأنّ الإنسان لا يأكل نارا، لكنّه يأكل الطعام الحرام الذي يسبّب لصاحبه النار، فالنار مسبّبة عن اكل الحرام.

أو كقوله تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة/ ١٩٧) الصيغة موضوعة للنفي الخبري، وقد استعملت في النهي عن هذه الأمور مجازاً، والعلاقة المسببيّة لأنّ حصول النّفي في الواقع مُسَبَّبٌ عن طاعة المؤمنين في الحجّ لما ينهى الله عنه، وهذا هو المنتظر منهم، فأُطْلِقَ المسبّب، وأريد سببه. واستعمال الخبر في مثل هذا المقام أبلغ من إنشاء النَّهْي، إذْ يُشْعِر بأنّه ليس من شأن المؤمنين أن تكون منهم المخالفة في واقع حجّهم، الذي تحمَّلوا فيه المشقات الكثيرات، وبذلوا لأدائه أموالاً جمعوها بالجهد والكدّ وربما انتظروا سنين حتى تهيّأت لهم الاستطاعة.

أو كقوله تعالى ﴿والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة﴾ (البقرة/٢٣٣). الصيغة خبريّة في "يُرْضِعْنَ" استعملت في الأمر الترغيبيّ أو الإلزامي مجازاً، والعلاقة المسَّببيّة، لأنّ الإرضاع الفعلي مُسَبَّبٌ عن طاعة المؤمنات لأمر الله في شأن أطفالهنّ فأُطْلِقَ المسبَّبُ

وأُريد سببُه. واستعمال الخبر في مثل هذا المقام أبلغ من إنشاء الأمر لأنه ليس من شأن الوالدات ذوات الحنان والشفقة على أطفالهنّ، وهُنَّ مؤمناتٌ بربِّهنّ أن يتركْنَ إرْضاع أولادهنّ دون ضرورة، أو حاجة شديدة جداً. أو كقوله تعالى ﴿يدْعُوإِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/٢٢١). ذكر الله تعالى ((المغفرة)) وهي المسبّب وأراد التوبة وهي السبب في المغفرة.

٣-١-١-٣) العلاقة الجزئية

وهي تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك بأن يطلق الجزء ويراد الكل نحو قوله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ١١٢).

فقد عبر الله عن الجسم بالوجه وذلك على طريق المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، فقد آثر التعبير بالوجه بدلا من ال الجسم لأن المقام مقام شرف وسيادة ونبل ووجاهة. فقد عدل الله في هذه الآية عن الإنسان و جاء بوجهه وذلك لشدة اتصال الإنسان بالوجه. الانزياح ههنا يأخذ طبيعة تقدمية حيث يتم الانتقال من الجزئية إلى الكلية. يمكن ترسيم هذا الانزياح على النحو التابع:

جدول الرقم ٤

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
الوجه	العضو المعروف	الجسم

في الآية خُصَّ الوجه بالذكر لأن السرور والبهجة يبدو أثره على الوجه والوجه الذي يميل إلى الله و يسلم له، ما اعتراه الحزن و الخوف بل أنه محسن و له أجره عند ربه. فبناء على هذا آثر النص القرآني التعبير بالوجه من باب التعبير بالجزء و إرادة الكل أي الجسم، فالعلاقة الجزئية هي التي سوغت الانتقال من المدلول الحقيقي إلى المدلول المجازي.

أو كقوله تعالى ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (البقرة/ ١٧٧) فقد عبر الله عن العبد و الأسير بالرقبة (فِي الرِّقَابِ). فالمقصود من

((الرقاب)) أشخاص العبيد لأرقابهم ليس غير، ولكن لما كانت الرقاب عادة موضع وضع الأغلال في العبيد المأسورين أطلقت عليهم. كما أنها من أهم أجزاء في الإنسان، وأن معاني السيادة والعبودية تظهر أوضح ظهور في الأعناق:

جدول الرقم ٥

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
الرقاب	العضو المعروف	الأنسان(العبد)

نلاحظ في جدول الرقم ٥ أن الانزياح عن المدلول الأول أي العضو المعروف إلى المدلول الثاني أي العبد لم يتم على أساس المشابهة بل أنما على أساس المجاورة و علاقة المجاورة تكمن في أن الرقبة جزء من الإنسان (العبد). جدير بالذكر إن الارتباط بين الرقبة والعبد هو ارتباط داخلي إذ إنّ الحقل الدلالي للفظة الرقبة لا يشكل وضعا مستقلا عن الحقل الدلالي للفظة العبد فهي جزء منه و فيها تظهر معاني السيادة و العبودية أبرز ظهور. هذا النوع من النزياح يكون ذا قيمة تأثيرية بالغة فهو يشعر بخطورة الوضع الذي يعيش الإنسان الرقيق الأن فقدانه للحرية يعادل فقدانه للحياة نفسها فالعبودية أغلال تحيط بعنقه وتتهدد حياته وتحريره منها ليس إلا تحطيما لتلك القيود و الأغلال ولهذا آثر النص القرآني استخدام لفظة الرقبة لأنها هي الأقدر على نقل هذه الدلالات إلى المتلقي.

وهكذا يعبر القرآن عن الإنسان بأجزاء مختلفة من أجزاء جسده، وفي كل مرة نرى الجزء الذي عبر به عن الكل، وهو الإنسان له اتصال وثيق ومزيد اختصاص بالسياق وبالمعنى، ولا يصلح جزء من أجزاء الإنسان المذكورة مكان الآخر لاختلاف السياق كما أوضحنا.

٣-١-١-٤) العلاقة الكلية

وهذا يعني تسمية الشيء باسم كله، وذلك فيما إذا ذكر الكل وأريد الجزء، نحو قوله تعالى ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/١٩) فالكلمة موضع المجاز في هذه الآية الكريمة هي ((أصابعهم)) فقد أطلقت وأريد أناملها أو أطرافها،

ولكن من الطبيعي ألّا يكون الانسان بقدرته وضع أصابعه كلها في آذانه، بل الطبيعي أن يضع أطراف أصابعه في آذانه. والغرض منه هنا هو المبالغة في الإصرار على عدم سماع الحق بدليل وضع أصابعهم في آذانهم.

في هذا الآية يظهر الانزياح في كلمة ((الأصابع)) لأن الإنسان لا يستطيع أن يجعل إصبعه كله في أذنه و إنما المراد ((الأنامل)) والقرينة على ذلك هي ((فِي آذَانِهِمْ)). الشكل التابع يرسم هذا الانزياح:

جدول الرقم ٦

الدال	←	المدلول الحقيقي	←	المدلول المجازي
↓		↓		↓
أَصَابِعَهُمْ		العضو المعروف		أَناملهُمْ

عدل الله في هذه الآية عن الأنامل إلى الأصابع وذلك لشدة الخوف الواقع على قلوبهم بسبب نفاقهم فكانوا يحسبون كل صيحة عليهم. الدنزياح في هذه الأية يأخذ طبيعة تراجعية حيث يتم الانتقال من الكلية إلى الجزئية (عبد المطلب، دون تا: ١٦٤) لعل السر في هذا الانزياع هو الإشعار بمدي ما أصاب هؤلاء المنافقين من ذعر و اضطراب إلى الحد الذي جعلهم يدخِلون أصابعهم كلها في آذانهم مبالغة فيما يشعر به من هول الصواعق وفضاعتها.

٣-١-١-٥) العلاقة الحالية

هي أن يرد اللفظ الدال على الحالّ ويراد به المحلّ لما بينهما من ملازمة. من أمثاله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة/٢١٨)

والمقصود بـ(رَحْمَةَ اللَّه)، جنّة الله، والجنّة هي المحلّ الذي تحلّ فيه رحمة الله، ففي الآية مجاز مرسل، إذ ذكرت الآية الحالّ (الرحمة) وأرادت المحلّ (الجنّة). وهكذا فإ الانزياح حدث في لفظة ((جنة)) اتلي حلت محلها لفظة ((رحمة)) تسمية الشيء باسم الحال فيه. لعل ما يؤكد الانزياح عن المدلول الأول إلى الثاني القرينة الموجود في السياق و هي قوله

﴿هُمۡ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/٢١٧) فإن الخلود الذي هو الإقامة الدائمة إنما يكون في مكان، أما الرحمة فهي أمر معنوي و التعبير عنها بدلا من الجنة يبدو أكثر فاعلية لأنه يعطي صورة مسبقة عما يلقاه المؤمن في الجنة:

جدول الرقم ٧

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
الرحمة	الخير و النعمة و الشفقة	الجنة

أما بالنسبة إلى سر هذا المجاز فإن الله لم يعبر عن الجنة باسمها؛ لأن في لفظ الرحمة إيماء إلى أن دخولهم الجنة إنما هو بفضل الله لا باستحقاقهم له. الرسم التالي يبين الدرجة الانزياحية الموجودة في الآية، فالرحمة التي كانت الجنة تستوعبها إثر هذه الانزياحية أصبحت نفس الجنة هذه المساوات الدلالية بين الحال و المحل تعتبر انزياحا دلاليا.

من خلال تحليل الأمثلة المذكورة تبين لنا أن هذه المجازات تثير في المتلقي انفعال التشوق و التطلع إلى معرفة الدلالة المجازية لأنه عندما يصل إلى المعني المراد من الانزياح الدلالي بعد تأمل وتدبر فإنه يحس باللذة والمتعة والسعادة وهكذا أن قيمة الانزياح الدلالي وقدرته على التأثير في المتلقي تعتمد على مهارة المبدع في اختيار الألفاظ ذات الدلالة الإيحائية المناسبة، الأمر الذي نلاحظه في سورة البقرة.

٣-١-٢) الانزياح الاستعاري

تابع النقاد المحدثون في تنظيرهم لمفهوم الاستعارة أسلافهم من الأقدمين هفم وإن قدموا في بعض المواطن بالشيء الجديد إلا أن ذلك لا يتعدي في حقيقة الأمر عن كونه تطويرا لأقوال الأقدمين في هذا الشأن. مهما اختلفت الآراء إلا أنها تجمع على أن الاستعارة عادة هو المبالغة والتلميح الذي يغني عن التصريح.(العمري، ١٩٩٩م: ٢٩٩)

تُعد الاستعارة لوناً من ألوان التصوير في القرآن، وهي من الأدوات المفضلة فيه، ومن خلالها كان يعبّر عن المعنى الذهني والحالة النفسية، بالصورة المحسوسة، فهو يعمد إلى هذه

الصورة التي رسمها، فيعطيها ألوانها وظلالها، ثم لايلبث بعد ذلك أن يضيف إليها الحركة فالحوار. جاء في تعريف الاستعارة أنها ((اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي)) (فيود، ١٤١٨هـ: ١٩٦) بغض النظر عن أقسام الأستعارة و أنواعها المختلفة التي أوردها البلاغيون قديما وحديثا فالواقع أن الاستعارة ((تخرج اللغة من عالمها المألوف إلى عالم آخر أكثر خصوبة، أو بتعبير آخر تستخدم الكلمة فيها استخداما مجازيا يكسبها قوة لم تعهدها من قبل))(ناصف، ١٩٨١م: ١٢٥)

فمن تلك الاستعارة المصورة الموحية في سورة البقرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة/٢٥٧).

لا تخفي قيمة كلمتى الظلمات والنور، فى إثارة العاطفة وتصوير الحق والباطل، ففي الآية الكريمة مجازان لغويان في كلمتي ((الظلمات والنور))، قصد بالأولى ((الضلال)) وبالثانية ((الهدى والإيمان)). فقد استعير ((الظلمات)) للضلال، لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبهما. كذلك استعير ((النور)) للهدى والإيمان، لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في كلا المجازين قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

فبناء على هذا إن كلمتي الظلمات والنول انزاحا عن دلالتهما الأصلية إلى دلالة جديدة، فهما ليسا ظلماتا و نورا في الحقيقة، وانما بل استعمال في الضلال و الهدااية. ويمكن توضيح هذا الانزياح على النحو التالي:

جدول الرقم٨

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
الظلمات	سواد الليل /غياب النور	الضلالة
النور	الضَوء و السطوع	الهداية

بالاعتماد على معيار العلاقة المشابهة، يتبين لنا أن الخلاف الموجود بين الدالَين

((الظلمات و النور)) و المدلولين ((الضلالة و الهداية))، خلاف ظاهري لا يتجازو المستوى الظاهري للصياغة والغاية منه قوة المشابعة بين ((الظلمات و النور)) و ((الضلالة والهداية)). وتكمن بلاغة هذه الاستعارة ودلالتها أن فيها إبرازا للمعنى المراد إثباته وتقريره وايضاحه، فقد أبرزت هذه المعاني المعقولة الخفية وأظهرتها في صورة محسوسة حية متحركة كأن العين تراها، واليد تلمسها، وهذا ما أشار إليه الرماني في حديثه عن هذه الاستعارة في قوله: ((الظلمات والنور مستعار، وحقيقته من الجهل إلى العلم، والاستعارة أبلغ؛ لما فيها من البيان بالإخراج إلى ما يدرك بالأبصار))(الرماني، ١٩٧٦م: ٩٢)

فقد استعير في هذه الآية الظلمات للكفر والضلال بجامع عدم الاهتداء والرشاد فيهما معا، كما أن في هذه الاستعارة تصويرا دقيقا للواقع الذي يعيشه كل واحد منهما، ففي لفظة (الظلمات) إيحاء عجيب، وتصوير دقيق لواقع ذلك الرجل المتخبط في ظلمات الكفر والشرك والضلال، فهو يعيش في ظلام دامس، قد طمست معالم الطريق أمامه، فلا يهتدي أبدا، وقد تجلت لفظة (النور) على أنها مصباح مضيء تضيء الطريق أمام هؤلاء المهتدين بهدي القرآن، فيسيرون فيه على بينة ووضوح، ليصلوا إلى غاياتهم وينالوا مرادهم، بسبب تمسكهم بهذا النور واقبالهم عليه، وانتفاعهم منه.

وهكذا جاءت الاستعارة في هاتين اللفظتين (الظلمات و النور) مبينة واقع من آمن بالقرآن وانتفع به، وواقع من أعرض عنه وكفر به، فكما أن بين الظلمات والنور فرقا شاسعا فكذلك هو الحال بين المؤمن والكافر.

أو كقوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة/ ١٠) فهنا نجد أنه استعار لفظ المرض من العلة الجسمانية ((للنفاق و ما نشأ عنه من أمراض أخلاقية تتمثل في الخداع والحقد والحسد والكذب والكفر)) (الزمخشري، ٢٠٠١م: ٩٨/١) والعلاقة هي المشابهة الحاصلة بين المرض والنفاق في أن كلًّا منهما يُفسد ما يتصل به، فالمرض يفسد الأجسام، والنفاق يفسد القلوب، والقرينة المانعة من إرادة المرض الجسماني؛ لأن الآية الكريمة مسوقة لذم المنافقين الذين أبطنوا الكفر، وأظهروا الإسلام، ولا معنى لأن يكون الذم في وصفهم بالمرض الجسماني، بل المراد ذمهم بفساد قلوبهم، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز في الآية الكريمة يُنبئ بتمكن النفاق، واستحكامه، واستقراره

في قلوب المنافقين حتى صار مرضًا مازج دماءهم، ذلك أن تشبيه المرض النفسي بالمرض الجسدي أقوي في التأثير و أبلغ في البيان.كما نلاحظ أن النص القرآني انزاح عن لفظ النفاق و الخداع إلى لفظ المرض الذي يدل على العلة الجسدية، معنى هذا أن لفظ المرض في هذا السياق يكتسب مدلولا جديدا وهو النفاق. يمكن ترسيم هذا الانزياح على الشكل التالي:

جدول الرقم ٩

الدال ←	المدلول الحقيقي ←	المدلول المجازي
↓	↓	↓
المرض	العلة الجسدية	النفاق و الخداع

أما العلاقة التي سوّغت هذا الانزياح عن المدلول الأصلي إلى المدلول المجازي فهي علاقة التشابه بين المرض و النفاق في أن كلا منهما يفسد ما يتصل به فالمرض يفسد الأجساد و النفاق يفسد القلوب.

أو كقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة/١٦).

ففي هذه الآية الكريمة استعارة في لفظة ((اشتروا)) فقد استعير ((الاشتراء)) ((للاختيار أو الاستبدال)) بجامع أحسن الفائدة في كل، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي ((الضلالة)). ثم ذُكر الربح والتجارة وهما من ملاءمات المستعار منه، وذلك مما يقوي الاستعارة ويحقق المبالغة في التصفير والتخييل، ودعوى دخول المستعار له في جنس المستعار منه.

أو كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ (البقرة/٢٧). جاءت الاستعارة في هذه الآية الكريمة في لفظة العهد، شبّه الله تعالى الْعَهْد بالْحَبْلِ الْمُبْرَمِ الّذي أُحْكِمَتْ تقويته بالإبْرام. ثُمَّ حُذِفَ المشبَّه به، ورُمِزَ إِلَيْه ببَعْضِ صِفَاته، فجاء النقض الذي يشبه إبطال الْعَهْد في عبارة ((يَنْقُضُونَ)) وجاء الإيثاق الذي يشبه إعطاء العهد للالتزام به، في عبارة ((من بَعْد ميثاقه)). وأصل الكلام: يُبْطِلُون العهد إبطالاً يشبه نقض

الحبل الْمُبْرم الذي أُحْكِم إيثاقاً، الذي يُشْبِهُ إعطاء العهد الذي عاهدوا عليه مُوَثِّقين له بِالأيمان بالله.

فمن خلال هذه المعاني كلها تبرز قيمة الاستعارة وأثرها في أداء معانيها، وتحقيق غايتها والمراد منها، فلا عجب أن يجعل عبد القاهر الجرجاني هذا النوع من المجاز أبلغ أنواع المجازات، حيث بين قيمتها قائلا: ((واعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها والاستعارة غاية شرفها ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننا وتصرفها))(الجرجاني، ١٩٩١م: ٦٦).

٤- النتائج

من خلال التأمل في الانزياحات الدلالية الواردة في سورة البقرة نجد أنها مشتملة على كثير من الخصائص التي تفردت بها، منها الإيضاح الذي يكاد يكون من أبرز هذه الخصائص، والاستعارات الموجودة في هذه السورة جاءت لتمثل ما ليس مرئيا بالمرئي فتصيح المعاني محسوسة ملموسة فينتقل السامع من حد السماع إلى حد البيان و المشاهدة لها بالبصر.

من خلال دراسة المجاز المرسل تبين لنا أن هذه المجازات تثير في المتلقي انفعال التشوق و التطلع إلى معرفة الدلالة المجازية لأنه عندما يصل إلى المعني المراد من الانزياح الدلالي بعد تأمل و تدبر فإنه يحس باللذة و المتعة و السعادة. من أهم علاقات المجاز التي استعملت في القرآن هي السببية و المسببية والجزئية و الكلية والحالية.

استطاع النص القرآني من خلال استعمال الاستعارات بثّ الحياة و النطق في الجماد و تجسيم الأمور المعنوية بإبرازها للعيان في صورة كائنات حية كما استعملت هذه الاستعارات لتحقيق أغراض دينية و من ثم فهي تؤلف بين البعدين الفني و الديني.

قائمة المصادر والمراجع

وخير مانبتدىء به القرآن الكريم

- ابن منظور الافريقي، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.
- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، الأردن: دار المسيرة، ٢٠٠٧م.
- الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١م

- ـــــــــــــــ، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٢م.
- راضي، عبد الحكيم، نظرية اللغة في النّقد العربي، مصر: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٣م.
- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، النكت في إعجاز القرآن للرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، مراجعة وضبط وتعليق محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فيوجود التأويل، بيروت، دار الإحياء، ٢٠٠١م.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زر زور، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
- صالح، لحلوحي،.((الظواهر الأسلوبية في شعر نزار قباني))، مجلة كلية الأداب و اللغات، العدد ٨، ٢٠١١م. صص ١-٣٦.
- العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها و امتداداتها، الغرب، أفريقيا، ١٩٩٩.
- فوغالي، وهيبة، الانزياح في شعر سميح القاسم، ((قصيدة عجائب قانا الجديدة أنموذجا)) دراسة أسلوبية، رسالة الماجيستير جامعة أكلي مهند أولحاج - البويرة، ٢٠١٣م.
- فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، قدم له وبوبه وشرحه على أبو ملحم، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٩١م.
- كوهن، جون، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي العمري، المغرب، دار توبقال، ١٩٨٦م.
- المطلب، محمد عبد، البلاغة العربية قراءة أخرى، بيروت: مكتبة لبنان، دون تا.
- المطلب، محمد عبد،البلاغة والأسلوبية، مصر: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٤م.
- ناصف، مصطفى، الصورة الأدبية، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١م.
- ويس، أحمد محمد،الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع، ٢٠٠٥ م.
- الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية صيدا، ١٩٩٩م.